

أهل الشام

ريورتاج

لم يكن كثير من السوريين الذين رموا بأنفسهم في «رحلات المخاطر» بغية الوصول إلى «نعيم اللجوء» في أوروبا ليتخيلوا أنهم سيخطرون مجدداً، لكن في الاتجاه المعاكس. في العام الأخير نشطت خطوط التهريب لتعيد هؤلاء من أوروبا نحو تركيا حيث يمكث بعضهم، ويحاول بعضهم العودة (تهرباً) إلى سوريا. وما زالت قوانين اللجوء في أوروبا تحظر على طالبيه زيارة بلدهم، برغم تأكيدات «المفوضية» للدور الإيجابي الذي يمكن زيارته معائلة أن تلعبه

سوريون في أوروبا
«ردني إلى بلادي»
ولو تهريباً!

صهيب عنجزي

قبل شهرين وصل إليهم (اسم مستعار) إلى مدينته حلب بعد رحلة طويلة ومحفوفة بالمخاطر، قطع في خلالها حدوداً دولية بواسطة طرق التهريب كي يصل من أوروبا إلى تركيا، قبل أن ينتحل شخصية أحد أقاربه كي يعبر الحدود من تركيا نحو سوريا عبر معبر «باب الهوي»، ولينتقل أخيراً نحو حلب. يوافق الشاب (بصعوبة) على مشاركتنا بعض التفاصيل مشروطاً عدم نشر كثير منها، ولا سيّما تلك التي يخشى أن تسبب كشف شخصيته. في عام 2014 انضمت الرجل الأربعيني إلى قواتم اللاجئين السوريين في إحدى الدول الأوروبية، بعد أن وصلها بواسطة التهريب من دون أن يخطر في باله أنه سيسلك يوماً الطريق نفسه، لكن في الاتجاه المعاكس تختلف الأسباب التي دفعت إليهم إلى تكرار المغامرة الخطرة، لكنه في المّزتين «لم يكن يمتلك حلولاً أخرى» كما يؤكد له «الأخبار»، لا تختلف الأسباب التي دفعتهم إلى خوض مغامرته الأولى عن العام الماضي أبلغه الإطباء بأن «كل شهر إضافي يعيشه يمكن عنده منجزته». قرر إليهم وقتها العودة في زيارة مؤقتة لرؤية والده في أمانه الأخيرة، لكنه كان مضطراً في الانتظار بضعة أشهر كي يبلغ عامه الثالث والأربعين الأمر الذي يعني

سوريا تهريباً «وهو ما في مزح، إذا شافونا العسكر الأتراك ممكن يهلقونا (يطلقون النار علينا) بلهجة حبيانية»، ما يعرف شلون قدرت استنى (انتظر)، كنت أعد الأيام مثل المجنون وأدعي لربي ما يوقع الفاس بالزاس قبل ما بعني الحال».

بالتوازي مع عده الأيام، كان إليهم يدرس الاحتمالات ويبحث عن الحل الأمثل للانتقال على قوانين اللجوء التي تحظر على اللاجئين السوريين (حتى الآن) زيارة بلدتهم، تحت طائلة إنهاء لجوء من يقدم على تلك الخطوة.

والله طلعت عيوني لحتي وصلت ع أوروبا وأخذت اللجوء، وما بدني حل يسمح لي أجي أشوف أبوي من دون ما أخسر اللجوء». في شهر آذار الماضي تجاوز إليهم «سن القلق» وبات في إمكانه الانطلاق في رحلته نحو تركيا أولاً لم يجد صعوبة في الوصول إلى مهرب والاتفاق معه، فهؤلاء كما يقول «يعتروني عليك قبل أن تعثر عليهم». يتحفظ عن ذكر أي تفاصيل تتعلق بالمبلغ الذي دفعه للمهرب، أو تفاصيل الرحلة التي قطعها «ما بدني أكون سبب بضرر لحدنا حتى لو كان مهرب، يعني الرّلة قدم لي منفعة وأخذ حقها».

«انتك شخصيّة»

في تركيا مكث إليهم فترة عند ابن عمّه، كان قد أعدّ خطّتين: أساسية واحتياطية. نجاح الأولى كان متوقفاً على صدور قرار من الحكومة التركية يسمح للسوريين بزيارة بلدتهم بمناسبة عيد الفطر، ويتيح العودة إلى تركيا في مدة أقصاها منتصف شهر أيلول القادم (بعد عيد الاضحى). أما الخطة الاحتياطية، فاستعدّ للجوء إليها في حال عدم صدور القرار التركي وتخطوي على خطر كبير، هي عبور الحدود نحو

مسبقاً مع ابن عمّه على أن ينتحل شخصيته ويستخدم بطاقته لعبور الحدود. «الشبه بيناتنا كبير كثير وبساطة»، يتسم القدر للرجل وصدر القرار المنتظر، لكن ذلك لم يعن أن المخاطرة انتهت، فالقرار التركي يشمل حاملي بطاقة الإقامة التركية «الكيمليك»، فحسب لم تُغفل خطة من مناطق سيطرة المسلحين إلى مناطق سيطرة الدولة السورية.

قرار غير محسوم

ما زال والد إليهم على قيد الحياة حتى الآن. «قضيت معو أحلى عيد بيمرق عليّ من سنين» يقول الرجل.

اللاجئون ما زالوا ممنوعين من زيارة بلدهم

في شهر آب من عام 2017 أكد الناطق الرسمي باسم «مفوضية اللاجئين» سكوت كريغ له «الأخبار» أنّ «تجارب المفوضية في سياقات أخرى (غير سوريا) لعودة اللاجئين أثبتت أنّ السماح للاجئ بزيارة بلده مؤقتاً (الذهاب للتفقد) هو أداة مهمة تسمح للاجئين باتخاذ قرارات مستنيرة بشأن العودة (النهائيّة)». وأكد تقرير له المفوضية» حينها «وجوب سماح بلدان اللجوء بالزيارات المؤقتة لسوريا، مع السماح بعودة اللاجئ إلى بلد لجوءه». مرّ عام على تلك التصريحات، لكن شيئاً لم يتغيّر لجهة «السماحية» المنشودة، وجّهت «الأخبار» سؤالاً عن هذا الأمر إلى مكاتب «المفوضية» في لبنان، ورغم أنّه كان خارج نطاقها الجغرافي، فقد أبدت تعاوناً جيداً، ونقلت السؤال إلى المكتب الإقليمي في عمّان، قبل أن يحطّ في مكاتب «المفوضية» في تركيا، ثمّ في أوروبا، من دون أن تحصل على إجابات حتى الآن.



كثير من السوريين عادوا بواسطة رحلات جوية إلى طهران ومنها إلى سوريا (أف ب)

«ماذا ستفعل إن بقيت في حلب؟» نساله، فيقول: «بدي أرجع اشتغل بمهنتي، وبدي أتزوج مرة ثانية (هو مُطلق من سنوات سابقة للحرب، وليس لديه أولاد) مشان أجبب صبي اسمه ع اسع ابوي».

واحد من الألف

لا يشكّل إليهم حالة وحيدة، فثمة مئات من السوريين على الأقل (والآلاف على الأرجح) قرروا إنهاء «حياة اللجوء» في أوروبا والعودة إلى بلادهم، لكن عودة معظمهم تأتي بغرض الإقامة الدائمة (خلفاً إليهم)، التهريب ليس طريقاً وحيداً لهؤلاء، فثمة طرق أخرى نظاميّة، بعضها ليس متيسراً. يوضح حسن (اسم مستعار) وهو سوري يعمل في «مكتب سفريات» في إحدى الدول الأوروبية أنّ كثيراً من السوريين عادوا بواسطة رحلات جوية إلى طهران، ومنها إلى سوريا. صارت هذه المسألة أصعب في الفترة الأخيرة بعد أن اشتربت السلطات الإيرانية قبل شهرين حصول السوريين على تأشيرة مسبقة «فيزا» لدخول أراضيها، لتلغى بذلك قراراً كانت قد أصدرته في تموز 2015 يسمح للسوريين بشراء تأشيرة دخول صالحة لمدة ثلاثة أشهر بمجرد وصوله إلى مطار إيراني. فثمة عقبات أخرى يواجهها طالبو اللجوء الراغبين في السفر. على سبيل المثال، حظرت السلطات الإماراتية السفر على طابلي اللجوء السوريين، إلا إذا كانت وجهتهم إحدى دول الاتحاد الأوروبي. تتنوّع دوافع السوريين الراغبين في مغادرة أوروبا، فتشمل عدم القدرة على الاندماج وانعدام الراحة النفسية، والخاوف من معاملة عنصرية في بعض الدول (ولا سيّما في ظلّ تنامي

تأثير الأحزاب اليمينية المتطرف)، وغير ذلك.

تهريب من لبنان

على نحو مماثل، سُجّلت حالات «تهريب معاكس» من لبنان إلى سوريا. ووجد بعض السوريين المقيمين داخل الأراضي اللبنانية في التهريب حلاً «مثاليًا» للعودة إلى بلادهم بفعل أسباب مختلفة. من تلك الأسباب تبرّج مخالفة هؤلاء لشروط الإقامة في لبنان والدخول إليه، ما يُربّط عليهم غرامات (بجداها البعض كبيرة) لتسوية أوضاعهم أمام الأمن العام اللبناني، أو يُفرض عليهم مئ من دخول الأراضي اللبنانية مستقبلاً في حال عدم الدفع. كذلك، يلجأ البعض إلى طريق التهريب خشية من وجود أسمائهم على لوائح المطلوبين في نقطة الحدود السورية، ومن المنتظر أن تؤدي جوية إلى طهران، ومنها إلى سوريا. صارت هذه المسألة أصعب في الفترة الأخيرة بعد أن اشتربت السلطات الإيرانية قبل شهرين حصول السوريين على تأشيرة مسبقة «فيزا» لدخول أراضيها، لتلغى بذلك قراراً كانت قد أصدرته في تموز 2015 يسمح للسوريين بشراء تأشيرة دخول صالحة لمدة ثلاثة أشهر بمجرد وصوله إلى مطار إيراني. فثمة عقبات أخرى يواجهها طالبو اللجوء الراغبين في السفر. على سبيل المثال، حظرت السلطات الإماراتية السفر على طابلي اللجوء السوريين، إلا إذا كانت وجهتهم إحدى دول الاتحاد الأوروبي. تتنوّع دوافع السوريين الراغبين في مغادرة أوروبا، فتشمل عدم القدرة على الاندماج وانعدام الراحة النفسية، والخواف من معاملة عنصرية في بعض الدول (ولا سيّما في ظلّ تنامي

أوراق إقتصادية

مشروع موازنة 2019:
«إعادة الإعمار» في عهدة «الديون الخارجية»!

تسرّب زرق

أصدرت الحكومة السورية قبل أيّام «التعليمات التنفيذية لمشروع إقرار الموازنة العامة لعام 2019» تمهيداً لعرضها على السلطين التنفيذية والتشريعية، ثمّ إقرارها. تبدو المادة الإعلاميّة التي تداولتها معظم وسائل الإعلام السوريّة حول هذه التعليمات كأنّها ضنعت في مطبخ واحد حرص على إبراز نقاط بعينها، وإمرار جملة هنا وأخرى هناك بطريقة تحاكي «التسلّل» في عالم كرة القدم، من بين أهمّ «التسلّلات» يبرز ما يتعلّق بـ«إعادة الإعمار» ومهمات «الجنته». توحى التعليمات التنفيذية بأنّ «لجنة إعادة الإعمار» يُراد لها أن تقوم بدور أشبه بدور «الحاكم الاقتصادي للبلاد» مستقبلاً! تتضمّن مهمات اللجنة «توزيع مخصصات إعادة الإعمار على الوزارات والجهات العامة»، و«تحديد الاعتمادات المطلوبة لمشاريع الجهات العامة ذات الطابع الاقتصادي»، أمّا «الصفحة» الأشدّ إيلاها فكانت في أحد السوراد التي ستلجأ إليها اللجنة وهو «القروض الخارجية التي يمكن السحب

عليها خلال العام والتسهيلات الائتمانية المتاحة لها»، هكذا ببساطة، هناك من يفكر في إطفاء «بقعة الضوء» الاقتصادية الوحيدة المتعلّقة بخروج البلاد من الحرب بحجم دين عام بسيط ولا يشكّل خطراً سيادياً (الأخبار» 13 حزيران 2018). إنّ المخاطر التي يُوّس لها هذا البند لا تقتصر على التمهيد لاعتماد «الديون الخارجية» مورداً أساسياً لتمويل «إعادة الإعمار» فحسب، بل تنسحب أيضاً على تحويل مسألة «بالغة الساسية كهذه إلى «مهمة إجوتيّة» بسيطة، يُترك «الحل والعقد» فيها لـ«لجنة إعادة الإعمار». إنّ

ملف «الديون الخارجية» هو أهم المواضيع السيادية لأي دولة، فالاستدانة تتبعها مرفقات الدين من الفوائد والتدخل بالسياسات الاقتصادية والمشاريع وإدارتها والاستثمارات الطويلة الأمد والبشرى السنين وخدمة لهذا الدين، والدين العام» كقيل بقلب الكيان الاقتصادي مستعيضاً عن استجرار قطع اجنبي لدعم الاحتياطي وسعر الصرف وتشجيع التصدير إلى إرهاب الشعب باكبر قدر من الضرائب في سبيل دفع فوائد هذا الدين!

لا تشكل تجارب اليونان وديي البحرين ومصر ولبنان والأرجنتين وإيطاليا وغيرها عبراً كافية؟ إنّ البلاد التي توشك على الخروج من حرب طاحنة من دون أن تغرق في الديون هي بلاد رابحة مهما بلغت خسائرها، فأين «الحكمة» في التخطيط للانتحار في بحر «الديون الخارجية» في أيّام السلم الموعودة؟ هل يعننا القيمون على الاقتصاد السوري بتكرار التجربة اللبنانية في مسألة الدين العام؟ هل سيستيقظ السوريون مستقبلاً على «بشرى» مفادها أنّ «لجنة إعادة الإعمار» استندت من هذه الدولة وتلك الملكة أرقاماً فلكية تحتمّ تقلص الرواتب (البالغة

التواضع أصلاً) ومضاعفة الأسعار ممرات إضافية والزريعة جاهزة. علينا ديون خارجية؟ أم أننا سنلجأ إلى الاستدانة من «صندوق النقد الدولي» لتسرب الموارد الوطنيّة في سبيل «دفع فوائد الدين» فحسب، وبمجرد التصدير في السداد ندخل في نفق الضغوط الخارجية تمهيداً لتسليم «صندوق النقد» زمام البلاد ومشاريعها الاقتصادية؟ وهل سينفع حينها ضربت كفّ بكف والتبرير بأنّ «التوفيق جانبنا» و«الحظّ خاننا»؟ أم أنّ هناك من سيتذكر الحكمة الشهيرة «ما خالك الأمين، لكنك اتمنت الخائن» قبل «وقوع الفاس بالراس»؟

وجوه

مالك سلمان وجامعة تشرين: إيه فيه أهلك!



وسط كثرة التذمر من الفساد والفوضى المستشريين في جامعة «تشرين» عموماً، وفي كلية الآداب خصوصاً، يلعب اسم الدكتور مالك سلمان، أحد أساتذة قسم الأدب الإنكليزي، يمكن الوقوف طويلاً أمام ما يفرضه الاسم من هيبه رجل العلم الذي يمنح محاضراته قيمة معرفية استثنائية، فيجسد أهمية مقام الأستاذ الجامعي، في بلاد عانت فوضى الحرب وانهارت المفاهيم، والأفئد أن يكون الرجل من نجوم الفناء الخلفي للحرب، مراقباً الموت المظلل للبلاد، والأكفان العائدة لشهداء من طلابه، فيواصل عمله بكبرياء، الرجل النزيه الذي لا مجال لاجتياز امتحان مقرر، من غير نيل علامة النجاح، بما يستحق الطلاب، وإذ يجع الطلاب على المقام العلمي المحترم الذي يمثله سلمان، لا تروق تلك الكاتبة بعض زملائه والقيّمين، فتشبه ممرات الجامعة على محاولات مستمرة للتليل من الرجل وإبعاده عن التدريس، وعلى اعتبار الحرب مبرر كل تقصير، يواصل الرجل إنتاجه في مجال الترجمات الأدبية، غير معني بما يمكن أن يثنيه عن حماسته، هو الذي ترجم خلال الحرب أكثر من 400 مقال من الصحف العالمية عن الحرب السورية. عن محبة الطلاب يُسأل مالك سلمان، كما يُسأل أيضاً عن «شعرية التمرد» لجان جينيه، و«قلب الظلمة» لجوزيف كونراد، وبقيّة الترجمات التي أثرت المكتبة العربية، ومثّل لبّ حياته المهنية ومصدر فخره.